التنغيم في الدّرس اللّساني والصّوتي القديم والحديث ،دراسة اصطلاحية

الدكتورة : يمينة مصطفاي
جامعة أكلي محند اولحاج، البويرة

تاريخ الإرسال: 27-08-2021	تاريخ النشر: ديسمبر 2021

ملخص:

يتناول هذا البحث مصطلح التنغيم في الدرس اللساني والصوتي في التراث العربي وفي الدرس اللساني والصوتي الحديث، لدى مجموعة من العلماء والباحثين في التخصصات اللغوية المختلفة، فيقدم في البداية تعريفه اللغوي لبيان مدى صلتها بالتعريف الاصطلاحي.ثم ينتقل للشطر الثاني وهو لبّ هذه الدراسة، يتناول فيه بكثير من التفصيل تعريف مصطلح التنغيم عند علماء اللغة القدامى،بين مؤيدين لوجوده ومعارضين، عارضا إياه وفق تدرج زمني متتابع، لملاحظة التطور والتغير الحاصل في تعريفه،والأمر نفسه في عرض المصطلح على علماء العصر الحديث التراثيين منهم والمتأثرين بالدراسات الغربية، وفق نفس الخطة والتتابع الزمني لرصد تطور مفهوم ودلالة هذا المصطلح حديثا.

الكلمات المفتاحية: المصطلح الصوتي؛ الدراسة الاصطلاحية؛ المعاجم اللغوية؛ التنغيم؛الأداء الصوتي؛النغمة.

Abstract :

This research is about the term intonation in the linguistic and phonetic lesson in the Arab heritage and in the modern linguistic and phonetic lesson at a group of researchers in different linguistic disciplines. At first, it presents its definition among ancient linguists, between supporters of its existence and opponents, presenting it according to a successive chronological gradation, to note the development and change that occurred in its definition.

and the same thing in presenting the term to modern scholars of the heritage, including those affected by Western studies, according to the same plan and

chronological sequence To monitor the development of the concept and connotation of this term recently.
Keywords: phonemic term; idiomatic study; language dictionaries; intonation; vocal performance; tone.

1.مقدمة:

إنّ الدراسة العلمية للمصطلحات تستوجب بالضرورة أخذ المصطلح في إطار عالمه اللغوي والعلمي والمعرفي الذي له حتما أثر مباشر في دلالته وتطورها والاختلاف فيها، وهذا من أجل التأسيس والتأكّد من صحة منهج الدراسة المصطلحية، وقد عملت في هذه الدراسة وفق الخطوات المتسلسلة الآتية :

1- يتم عرض المصطلح تاريخيا زمنيا،مع محاولة تقديم التعريفات الجديدة، وتجنب تكرار التعريفات المتشابهة:

أولا: المصطلح في المعاجم اللغوية القديمة وقد تم التركيز على التعريف اللغوي الأقرب الاصطلاحي ووقع الاختيار على:

أ- معجم مقاييس اللغة لابن فارس باعتباره معجما تأصيليا.

ب- معجم لسان العرب لابن منظور باعتباره جامعا لما قبله.

ج- معجم المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني باعتباره معجما لغويا دقيقا.

ثانيا: المصطلح في الدرس اللغوي العربي القديم:تم التركيز على أهم أعلام الدرس الصوتي العربي:الخليل، ابن جني، سيبويه، الكسائي وغيرهم في مصنفاتهم المختلفة.

ثالثا: المصطلح في الدرس اللغوي العربي الحديث: وقد ركزنا على المؤلفات اللغوية والصوتية لأهم أعلام الدرس اللغوي والصوتي العربي الحديث وهم:إبراهيم أنيس، أحمد

مختار عمر، كمال بشر، تمام حسان ومعجم علم الأصوات لمحمد علي الجبوري كنموذج للمعاجم العربية الصوتية المتخصصة الحديثة.

رابعا:المصطلح في الدرس اللغوي الغربي الحديث: وقد ركزنا فيه على أشهر المؤلفين في الصوتيات العربية من المستشرقين وغيرهم منهم هنري فليش، جان كانتينو، مالمبرغ، أبركرومي، سواء في مؤلفاتهم بالعربية أو مؤلفاتهم المترجمة من قبل علماء عرب محدثين،بالإضافة إلى معجم اللسانيات Dictionnaire de linguistique. Jean Dubois et autres باعتباره نموذجا جيدا حديثا للمعاجم الصوتية المتخصصة الغربية.

2-التنغيم في الاصطلاح اللساني والصوتي القديم:

2-1: الرافضون لوجود التنغيم:

اختلف الباحثون حوله، وشكّلوا اتجاهين، حيث ادعى "الباحثون المحدثون أن العربية لم تقم بدراسة التنغيم"[1]، ومن الذين قالوا بهذا الرأي زين كامل الخويسكي حيث يرى أنه "لم يعالج أحد من القدماء شيئا من التنغيم ولم يعرفوا كنهه"[2]، ويزعمون أنّ قدامى اللغويين العرب لم يسجّلوا هذه الظاهرة في كتبهم لأنها ليست ذات قيمة صرفية أو نحوية، فهذا برجستراسر يقول:" فتعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدماء لم يذكروا النغمة ولا الضغط أصلا، غير أن أهل الأداء والتجويد خاصة رمزوا إلى ما يشبه النغمة ولا يفيدنا ما قالوه في شيء فلا نص يستند عليه في

[1] – شرف الدين علي الراجحي، في علم اللغة عند العرب ورؤى علم اللغة الحديث، ص61.

[2] – زين كامل الخويسكي، نجلاء محمد عمران، مختارات صوتية، ص150.

إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن[1].ويقول رمضان عبد التواب: "ولم يعالج أحد من القدماء شيئا من التنغيم ولم يعرفوا كنهه غير أننا لا نعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة[2].

نلاحظ من هذين القولين مدى التناقض الصريح الذي وقعا فيه فهما من جهة يتعجبان ويجزمان قطعا أن القدماء لم يعالجوا هذه القضية في مؤلفاتهم، ومن جهة أخرى لا ينفيان وجودها عند بعضهم وبعض من أهل الأداء والتجويد وغيرهم.

ويرى بعض الباحثين أنّ القدماء أهملوا هاتين الظاهرتين لأنه لم يكن لهما أي تأثير لغوي أو فونولوجي[3].

يقول محمد صالح الضالع:"ينفي معظم الدارسين العرب المحدثين[4] أن تكون فكرتا النبر والتنغيم في الجملة معروفتين لدى علماء العربية القدماء، وقد ظن البعض عكس ذلك أي أن العرب قد عرفوا ظاهرتي النبر والتنغيم من خلال ما قاله ابن جني في الخصائص ج2، ص370-371"*.ويقول: وأرى أن نص ابن جني لا يدلّ على تنبّه إلى النبر أو التنغيم ولكنه يدل على تنبهّه إلى الوسائل الصوتية والحركية غير اللّغوية التي تضاف إلى الوحدات اللغوية وتحيط بها معبّرة عن دلالات مقصودة حسب

[1] – برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص48.

[2] – رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص106.

[3] – المجلة العربية، للعلوم الإنسانية، الكويت، 1999، ع 67، محمد صالح الضالع، قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، ص10.

[4] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، 1990، أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، 1955، هنري فليش: العربية في بناء لغوي جديد، تحق وتعر عبد الصبور شاهين، 1983.

* – سنعرض القول فيما بعد ونناقشه.

الموقف والمقال والحال،فيتميزالأداء لعربي بنظام لا يسود فيه التنغيم الخالص، بل بأداء يتميّز برصف الألفاظ وتنضيد المعاني في نغمات تتجاذب بين الصعود والهبوط ويتراوح بين التلوين الصوتي وجرس الأصوات ومطلها.وعندما نقرأ ماكتبه علماء التجويد في قواعد الأداء القرآني لا نجد ذكرا واضحا لظاهرة التنغيم ولو من الناحية النحوية (استفهام أو تقرير أو تعجب)، ولكننا نجد وصفا موجزا شاملا لكيفية القراءة التي سميت في وقت متأخر بأسلوب القراءة (من حدر وترتيل وغيره).ويواصل نقده قائلا:"أما ما أورده د.غانم قدور الحمد عن إدراك علماء التجويد لظاهرة التنغيم فلم يتعد طرق الأداء المعبر للنصوص التي يجب أن يتحلى بها المؤدي الجيد والقارئ البارع، والدليل على ذلك أن إهمال هذا الجانب أو قلة ضبطه وتحقيقه يعد لحنا خفيا لا يدركه إلا نحارير القراء، وليس باللحن الجلي الذي يعد خطأ يجب تداركه وفحشا يجب تجنبه.[1]

ويقول أيضا: "وبعد أن مرّ زمان تطورت فيه اللغة العربية ولم تعد تستعمل أدوات المعاني أو قل فيها استخدام الأدوات النحوية ذات الدلالات الإنشائية والإخبارية والتوكيدية والانفعالية، وبعد أن فقدت اللهجات العربية علامات الإعراب وبعض الأبنية النحوية والصرفية، اعتمد أبناء العربية ولهجاتها على التنغيم للتعبير عن كثير من عواطفهم وانفعالاتهم وتصديقاتهم، وبعد أن اتصل اللغويون العرب بالدراسات الأوربية تنبهوا إلى التنغيم وقام بعضهم بدرسه في اللغة العربية ولهجاتها ."

[1] – محمد صالح الضالع، قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم، ص24 وما بعدها.

ويخلص إلى أن قول:" وبذلك لا يرى البحث أن التنغيم ظاهرة أصلية في نظام اللغة العربية أي ليس له وجود فونولوجي محدد كما هو الحال في بعض اللغات وخاصة اللغة الإنجليزية، والدلائل على ذلك نراها عندما نقارن حال اللغة العربية من خلال المعايير التي تحدد فونولوجية التنغيم، فهنالك (...) خصائص تجعل من التنغيم ظاهرة لغوية أصلية في نظام اللغة، وبالتالي نستطيع أن نخضعه للتحليل الفونولوجي والنحوي[1].

ولعل الإشارات والأدلة التي قدمها لنفي هذه الظاهرة وجودا ودراسة عند القدماء كقوله: نص ابن جني تنبّه إلى الوسائل الصوتية التي تضاف إلى الوحدات اللغوية.وقوله: الأداء العربي يتميز بنظام لا يسود فيه التنغيم الخالص بل ... تنضيد المعاني في نغمات ... وغيرها.لعل كل هذا إشارة مباشرة وواضحة بأن المقصود من كل ما ذكر من أدلة سمّاها وسائل صوتية (...) تنضد المعاني في نغمات، ما هي في حقيقتها إلا التنغيم بكل ما يحمل هذا المصطلح من دلالة سنعرض تفاصيلها لاحقا.

2-2. المؤيدون لوجود التنغيم:

في مقابل هذا نجد من يرى ويؤكد وجود التنغيم في اللغة العربية، وأنّ القدماء عالجوا هذه القضية ومن هؤلاء نذكر حسام البهنساوي وشرف الدين الراجحي الذي قال: "نحن ننطق بجمل مثل سبحان الله، والسلام عيكم بتنغيم معين ليدل على معنى معين، وكذلك أثبت أحمد كشك أن كثيرا من اللغويين والنحاة كان لهم دور في دراسة

[1] – محمد صالح الضالع، قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم، ص28 وما بعدها.

التنغيم مثل ابن جني وغيره"[1]، وقد ورد في الأشباه والنظائر للسّيوطي أنه قال: "حدثنا المرزباني عن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب قال: " سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد فقال: "أنظر أفي هذا الشعر عيب؟ وأنشده: لا يكون العير مهرا لا يكون المهر مهرا فقال الكسائي قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي: أنظر فيه، فقال : أقوى لابد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان، فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض، وقال: أنا أبو محمد، الشعر إنما ابتدأ فقال: المهر مهر"[2].

فعلّق أحمد كشك على هذا الكلام: "بأن الكسائي رأى إقواء واردا في رفع كلمة (مهر) والصواب نصبها باعتبارها خبرا لكان في رأيه، ولم يقطن الكسائي ما رآه اليزيدي الذي استخدم شيئا جديدا في تفسير البيت وهو الوقف، أو قل التنغيم الذي جعل جملة (لا يكون) –التي ضغط عليها حين النطق، وأخذت مطلا صوتيا لم يعهد لها بعيدا عن هذا السياق– لا صلة بينهما وبين ما بعدها فهي توكيد كما قبلها من حديث"[3].

[1] – شرف الدين علي الراجحي، في علم اللغة عند العرب ورؤى علم اللغة الحديث، ص62.

[2] – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الأشباه والنظائر، تحق إبراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية، 1986، دط، ج3، ص245.

[3] – أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، القاهرة، 1997، ط2، ص61.

3- تعريف التنغيم :

3-1- تعريف التنغيم لغة:

يقول ابن فارس:(نغم) النون والغين والميم ليس إلا النغمة:جرس الكلام وحسن الصوت بالقراءة وغيرهما، وهو النغم، وتنغّم الإنسان بالغناء ونحوه[1].ويقول ابن منظور:نغم: النغمة جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها(...) والجمع نغم [بسكون الغين](...) وكذلك نَغَم، (...) والنغم الكلام الخفي، والنغمة: الكلام الحسن، وقيل هو الكلام الحفي[2] .

3-2.تعريف التنغيم عند علماء العربية القدامى:

3-2-1-علماء التجويد والقراءات:

لقد وجد الباحثون في اللغة وتاريخها أن أقدم النصوص التي ورد فيها التنغيم في التجويد موجودة في كتاب "الزينة" لأبي حاتم الرازي إذ يقول: "قال قوم من أهل اللغة هو مقصور، وإنما أدخلوا فيه المد من ياء النداء كأنهم أرادوا (يامين)...(فأما الذين قالوا مطولة فكأنه معنى النداء (يا أمين) على مخرج من يقول: يا فلان، يا رجل، ثم يحذفون الياء، أفلان، أزيد وقد قالوا في الدعاء: أرب، يريدون يا رب، وحكى بعضهم

[1] - ابن فارس، المقاييس، ج5، ص452.

[2] - ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص312.

عن فصحاء العرب: أخبيث يريدون (يا خبيث)، وقال آخرون: إنما مدت الألف ليطول فيها الصوت بالشكاية"[1].

ومنه يظهر لنا جليا أن الرازي ربط المد بالنداء والشكاية أي أنه ربط النداء بالمعنى وهذا ما يوجد في التنغيم حيث كلّما تغيّر الأداء الصوتي تغيّر معه المعنى المراد.

ونجد أيضا الإمام الزركشي يذكر في كتابه البرهان كيفيات الأداء وأنها تتغير عند تغير الأعراض حيث يقول:"فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديد لفظ به لفظ المهدد، وإن كان يقرأ لفظ التعظيم لفظ به على التعظيم"[2]. والزركشي يربط مختلف الأغراض القرآنية بالأداء، وهو يعلم تمام العلم أن عدم إعطاء كل غرض أداءه الصوتي الخاص، يذهب تأثيره في المستمع أي يصبح مبهما.

ويقول محمد عبد العظيم الزرقاني في حديثه عن تأثير القرآن في السمع من خلال اللحن والتنغيم وإن لم يصرح بهذا الأخير، يقول: "إنّ من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتي وهي مرسلة على وجه السذاجة في الهواء مجردة من هيكل

[1] – أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة، تح: حسين فيض الله الهنداني، مطبعة الرسالة، القاهرة 1958، ج2، ص28.

[2] – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في عوم القرآن، تح: محمد أبو الفصل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، منشورات عيسى البابي الحلبي، 1957، ج2، ص217.

الحروف والكلمات (...) شعر من نفسه، بأنه أمام لحن غيرب، وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توضع للموسيقى وترنيم للشعر"[1].

ويتبين مما سبق أن علماء التجويد علموا كنه التنغيم في التجويد القرآني، وما ذكرهم للأداء الصوتي في القرآن، وكيف أنه يؤثر في المستمع ويظهر معناه حتى لا يكون مبهما، لأن القارئ يولي اهتماما كبيرا بالأغراض التي ترد فيه، ويتفاعل معها كأن يقرأ بصوت رقيق يميل فيه إلى البكاء، أو بصوت مجهور يبين أنه موضع التهديد، فيكون الأمر مفهوما لعامة الناس، وهذا كله لأنهم يعلمون تمام العلم بدور تغيير الصوت من الهمس إلى الجهر في تحديد المعنى وضمان وصوله إلى المستمع.

وإن الجوانب التي نراها في اهتمام علماء القراءات بطرق أداء القرآن الكريم وتجويده توقفنا على كم هائل من المصطلحات التي تحمل في طياتها آليات التنغيم ودرجاته. فقراءة التحقيق هو (إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل واليسر والتؤدة)[2]. هي في حقيقة أدائها صورة من صور التنغيم في قراءة القرآن الكريم.

[1] – محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، دت، ط3، ج2، ص205.

[2] – غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية لدى علماء التجويد، ص80.

3-2-2.علماء النحو :

إن نظرة فاحصة في مختلف أبواب كتب التراث تكشف لنا أن كثيرا من القضايا الصوتية عالج بها القدماء مسائل نحوية وصرفية، ومن بين هذه القضايا قضية التنغيم:

-ابن جني:

يتحدث ابن جني في كتابه "الخصائص" عن مسوغات حذف الصفة ويورد في ذلك حديثا ممتعا يقول:" وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سر عليه ليل، وهو يريد "سير عليه ليل طويل" وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم مل يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك وأن تحس هذا من نفسك إذا أملته وذلك كأن يكون في مدح إنسان والثناء عليه فيقول كان والله رجلا، فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتـــتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، (وعليها) أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك، زكذلك تقول سألناه فوجدناه إنسانا وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فستعني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا ونحو ذلك،و كذلك إذا ذممته و وصفته بالضيق قلت :سألناه و كان إنسانا ، و تزوي بوجهك و تقطبه فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك.[1].

[1] – ابن جني، الخصائص،تحقيق محمد علي النجار،دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، دت،ط2، ج2، ص370 و ما بعدها.

استخدم ابن جني مصطلحات عدة منها: التطويح والتطريح والتفخيم ومطل الصوت...الخ وهي لا تخرج عن كونها وسائل تنغيمية تعمل على المساعدة في فهم المعنى في السياق، بمعنى آخر وظف الدلالة اللفظية التي تعادل الدلالة الصوتية بمفهومنا الحالي وذلك للدلالة على المعنى المقصود، فذكر هذه المصطلحات للدلالة على أن تنغيم الجملة أو طريقة نطقها يرجع إلى أن الكثير من الصفات النطقية لا يمكن تقييدها بالكتابة، وربما هذا ما دفعه إلى الحديث عن إدراك سياق الحال وأهميته وأهمية رؤية وجه المتكلم وجملة حاله حين يتكلم، فرواية كلامه مجردا عن ذلك قد يذهب على السامع فهم المقصود والمراد من الكلام[1].

ولا أعتقد أن أحدا ينكر أن هذه المصطلحات: التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم (...) كلها وسائل تنغيمية تصدر عن المتكلم، وأي واحد من هذه المصطلحات يمكن أن يقابل مصطلح التنغيم في علم اللغة الحديث، فالتنغيم عند ابن جني موجود، والاختلاف حول اسمه ووضعه المصطلح الدال عليه.ويقول ابن جني: " لفظ الاستفهام إذا ضامّه معنى التعجب استحال خبرا، وذلك قولك: مررت برجل أي رجل، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهما، وكذلك مررت برجل أيما رجل، لأن ما زائده..[2].وهذا النص–أيضا– واضح في الإشارة إلى التنغيم، وإن لم يذكره ابن جني بلفظه وإنما ذكره بإجراءاته .

[1] – التراث العربي،(مجلة) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، أفريل 1999، ع15، بدر الدين قاسم الرافعي الصوتيات عند ابن جني ص22.

[2] – ابن جني،الخصائص، ج3، ص269.

3-2-2.علماء البلاغة:

- "الجاحظ :

يرى "أن الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما إلا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون، مع الإشارة من الدل والشكل والتفتل والتثني..."[1].

وإشارة الجاحظ، دليل على أهمية التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلم، وهي بعد ذلك التفاتة واضحة المعالم إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي.

ويلتمس الجاحظ في تيار الكلام الذي يتطلب الوضوح، أن يكون مقرونا بما اصطلح عليه "الدال"، "الشكل"، "التفتل"... مما له القدرة على إضفاء حالة البيان وإكساب السياق قبولا حسنا، وقوة في إيصال الدلالة، وإسراعا في الفهم.

3-4.التنغيم في الاصطلاح اللساني والصوتي الحديث:

3-4-1. إبراهيم أنيس (1961):

يرى بعض العلماء أن إبراهيم أنيس أول من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وسماه موسيقى الكلام[2].يقول في حديثه عن التنغيم وسماه موسيقى الكلام: Intonation ."برهنت التجارب الحديثة على أن الإنسان

[1] – الجاحظ، البيان والتنسيق، ج ، ص،

[2] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1979، دط،ص164.

حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعا لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها، ومن أشهر هذه اللغات اللغة الصينية، إذ قد تؤدي الكلمة الواحدة عدة معان، ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين انطق بالكلمة، ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية".[1].

3-4-2.تمام حسان:

يعرف التنغيم بأنه: "ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"، فالكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره وذلك ما يعرف باسم التنغيم، واختلاف درجة الصوت في الكلمة وتبيانها من مقطع إلى مقطع آخر قاعدة عامة تخضع لها جميع اللغات. إذ إنه من المستحيل أن نجد لغة تستعمل نغمة واحدة في الكلمة أو الجملة وتجعلها سائدة في كل أجزاء الجملة، فلابد أن تكون هنالك عدة نغمات متآلفة متناسبة في الكلمة. وقد أشار العلماء إلى أنواع النغمات ما بين هابطة إلى أسفل وصاعدة إلى أعلى وثابتة مستوية[2]،.

[1] -ابراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية،ص123،124.

[2] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ، ص166.

فاختلاف التنغيم وتغير النغمة في اللفظ أو الجملة المنطوقة شيء طبيعي ويمكن أن نطلق عليه (التنغيم الطبيعي) وهذا يوجد في كل اللغات إذ به ينسجم الأداء المطلوب، وليست له أي وظيفة دلالية. ولكن مع طبيعة اللغة وقياسيتها عند أهلها. فعدم إتقانه يجعل المتحدث يبدو غريبا عند أهل اللغة. وربما وقع في خطأ وبدا حديثه غير مفهوم، والسبب يرجع إلى عدم التزامه بمقياسية نغمات ألفاظ اللغة[1].و يعرفه في موضع آخر بأنه" الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق"[2].

3-4-3.محمد علي الخولي وآخرون:

يتحدث عن التنغيم تحت مصطلح نغمة يقول:": نغمة فونيم فوقطعي يصاحب الفونيمات القطعية ويؤثر في المعنى، وهو عادة ذو أربع درجات هي: النغمة المنخفضة ورمزها /1/، وهي التي تختم بها الجملة الإخبارية عادة، والنغمة العادية ورمزها /2/ وهي التي نبدأ بها الكلام عادة، والنغمة فوق العالية ورمزها /3/ وهي التي ترافق الانفعال أو التعجب، والنغمات نسبية مثل النبرات وتتوقف النغمة على عدد ذبذبات الأوتار الصوتية في الثانية والتي تعتمد بدورها على درجة توتر هذه الأوتار، وتدعى النغمة أيضا نغما أو درجة الصوت او طبقة الصوت(*)[3].

ومن تعريفات التنغيم نذكر أيضا:

[1] – مناهج البحث في اللغة، ص164.

[2] – تمام حسان،اللغة العربية، مبناهاو معناها، الهيئة المصريةالعامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص226.

(*) – لهذين المصطلحين الأخيرين دلالة خاصة في الدراسة الفيزيائية للصوت وليسا مترادفين .

[3] – محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، ص175.

– هو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين[1].

– هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع الصعود والانخفاض الهبوط في درجة الجهر في الكلام[2].

– هو رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني[3].

3–5. التنغيم في الاصطلاح اللساني الغربي الحديث:

إنّ التنغيم مجموعة معقدة من الأداء الصوتي بما يحمل من نبرات، وفواصل صوتية، وتتابع مطرد للسكنات والحركات، التي بها يحدث الكلام وتتميز دلالته.و لعلّ هذا لا يختلف كثيرا عما هو موجود في الدراسات والمعاجم الغربية، فقد ورد في معجم اللسانيات لجين دي بوا ما يأتي:

Intonation:

On appelle intonation les variations de hauteur du ton laryngéen qui ne porte pas sur un phonème ou une syllabe, mais sur une suite plus langue (mot, suite de mots) et forment la courbe mélodique de la phrase, Elles sont utilisées , dan la phonation, pour véhiculer, en dehors de la simple énonciation, les informations complémentaire dont un certain membre, les plus simple, sont recoumus par la grammaire : l'interrogation (phrase interrogative) la colère, la joie (phrase exclamative) etc.

[1] – ماريو باي، أسس علم اللغة،ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر،عالم الكتب،القاهرة،1983،ط2، ص93.

[2] – محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962، دط،ص210.

[3] – رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985،ط2، ص106.

L'intonation porte des élément d'information affectifs, connotatifs, esthétiques, par les quelles les sentiment et les émotions s'unissent a l'expression des idée (…).

L'intonation considérée par certains linguistique structuraliste comme un fait marginal, n'a fait l'objet que le discrétion fragmentaires , des expériences de synthèse de langage ont cependant montrer qu'en faisant varier dans une phrase de synthèse reconstitué l'ampleur des écarts de la ligne de fondamentale par rapport a la ligne initial on peut faire passer une phrase a caractère légèrement interrogatif par les mances de la simple question du doute de la surprise ou contraire la rendre de plus en plus énonciative jusqu'au ton impératif[1].

من هذا الكلام يظهر لنا مصطلحين متقاربين هما التنغيم والنغمة .

4-التنغيم والنغمة :

نجد بعض اللغويين يفرقون بين مصطلحين أساسيين هما النغمة: ton والتنغيم intonation فأما النغمة فتكون على مستوى الكلمات المفردة في مثل نعم، لا، ولد، إلخ وأما التنغيم فيكون على مستوى الجملة[2].

وهناك نوعان من التنغيم حسب تصنيف تمام حسان،وهما "النغمة الهابطة fallingtone من أعلى إلى أسفل، على آخر مقطع وقع عليه النبر والنغمة الصاعدة Risingtone من أسفل إلى أعلى على آخره مقطع وقع عليه النبر[3].

والتنغيم intonation أو التنوعات التنغيمية فهو تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء

[1] - jean du bois et autre, dictionnaire de linguistique, p268.

[2] - كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985، ط2،ص189.

[3] - اللغة العربية مبناها ومعناها، ص229.

الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة ومعالجة التنغيم باعتباره متصلا بالفونيم يختلف فيها اللغويون كثيرا فمنهم من اقتصر على استعمال الفونيم في التحليل الفونولوجي للظواهر الصوتية داخل حدود الكلمة، وترك التنغيم والمفصل خارج الدائرة وممن فعلوا هذا "دانيال جونز" الذي اعتبر مثل هذا واقعا خارج حدود نظرية الفونيم.

ومعظم اللغات يمكن أن تسمى لغات تنغيمية intonation languages لأنها تستخدم التنويعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق ما بين المعاني وإلى اختلاف التنغيم يرجع الفضل في التعبير عن المشاعر والحالات الذهنية من كل نوع، ويمكن في معظم اللغات أن تغير الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال إلى تعجب... دون تغيير في شكل الكلمات المكونة ومع تغيير فقط في نوع التنغيم[1].

وكل لغة لها نماذج معينة من التنغيم، وكذلك كل لهجة داخل اللغة، وهذه النماذج تختلف وتتنوع بشكل واسع.

ونخلص مما سبق إلى أن التنغيم أوسع من أن يحصر في ما يسمى بهبوط النغمة، أو صعودها، ولكنه كل ما يحيط بالنطق من طرق الأداء. هذه الطرق تشمل: الوقف، والسكت، علو الصوت، نبر المقاطع، وطول الصوت وغير ذلك، ثم إن التنغيم يقتصر على التراكيب المسموعة دون التراكيب المقروءة. فالأداء وما يحمل من نبرات، وتنغيمات، وفواصل له أثر كبير في نفوس السامعين، ومتابعتهم، وحسن إصغائهم، وفهم المراد وبهذا يصبح التنغيم عنصرا هاما من عناصر الأداء.

[1] – ينظر: اللغة العربية مبناها ومعناها، ص229-230.

5- وظائف التنغيم :

يحصر العلماء أهم وظائف التنغيم في الآتي:

أ-وظيفة أصواتية :وتتمثل في انسجام الأصوات، لتؤدي المعاني والمقاصد[1] .

ب- وظيفة نحوية: وهي الوظيفة الأساسية للتنغيم إذ هي العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التركيب والتفريق بين أجناسها النحوية "[2]. (...) ومن أهم الوظائف النحوية للتنغيم دوره في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من تقريرية واستفهامية وتعجبية، فالجمل التقريرية لها نمط خاص من التنغيم في نهاياتها يمثل في النغمة الهابطة، في حين الجملة الاستفهامية —خاصة التي يجاب عنها بنعم أو لا- تنتهي بنغمة صاعدة كما هو الحال في الجمل الاستفهامية التي تستخدم فيها الأدوات العامة مثل: "الهمزة" و"هل" .(دليلا على أن الكلام لم يتم)وتمامه الإجابة التي تنتهي بنغمة هابطة[3].

ج- وظيفة دلالية سياقية: حيث ينبئ اختلاف النغمات وفقا لاختلاف المواقف الاجتماعية، من حالات أو وجهات نظر شخصية في عملية الاتصال بين الأفراد ، وفي ختام حديثه عن ظاهرة التنغيم يقول كمال بشر: "من هنا نقرر "أن التنغيم بوصفه ظاهرة صوتية مهمة في عملية الفهم والإفهام وتنميط الجمل إلى أجناسها

[1] - تمام حسان، منهج البحث، ص164.

[2] -كمال بشر، علم الأصوات، ص541.

[3] - -المرجع السابق، ص543-544.

النحوية والدلالية المختلفة، كان مستقر أمره في وعي علماء العربية، وإن لم يأتوا فيه بدراسة نظرية شاملة تحدد كنهه وطبيعته ودرجته"[1].

6-خاتمة:

بعد هذه الدراسة لهذا المصطلح الصوتي في الدرس اللساني والصوتي العربي قديما وحديثا عند العرب وعند الغرب نسجل النتائج الآتية :

1- إن التنغيم ركن أساسي في الأداء لا تخلو منه أي لغة من لغات البشر.

2- إتقان التنغيم ومعرفته أمر بالغ الأهمية لما له من صلة بالمعنى فهنالك وظيفتان أساستان للتنغيم وظيفة أدائية ووظيفة دلالية.

3- لعلماء العربية إشارات ذكية تدلّ على تنبههم لما للتنغيم من أهمية في تفسير وتوضيح المعاني والإعراب.

4- التنغيم ليس محصورا فقط في درجة الصوت وإنما هو مجموعة معقدة من الأداء الصوتي بما يحمل من نبرات، وفواصل، وتتابع مطرد للسكنات والحركات التي يتم بها الكلام.

5- التنغيم يقتصر على التراكيب المسموعة أما التراكيب المقروءة فقد استعاضت عنه ببعض رموز وعلامات الترقيم لتدل بها على الاستفهام والتعجب والاستغاثة والدهشة وغير ذلك.

6- أنواع الوقف في القراءات تحتاج إلى دراسة لأن النغمات التي تنشئ عنها متباينة وتؤدي معاني مختلفة.

[1] - المرجع السابق، ص552.

7- إن أساليب الاستفهام والنداء والإغراء والتحذير التي تناولها النحاة بالدرس والتقعيد تحمل ف طياتها عند النطق بها تنغيمات مختلفة.

8- النحاة عند استنباطهم قواعد اللغة العربية اعتمدوا على السماع ومشافهة الفصحاء، وعلى ضوء سماعهم وضعوا القواعد، والعربي عند تحدثه كان يستعمل طرقا معينة في أدائه (تنغيمات)، فالنطق بالإغراء له نمط معين وللتحذير أداء محدد وكذك التعجب.

وقد دأب العلماء عند طباعة المصاحف الكريمة إلى وضع علامات ورموز اصطلاحية تعين القارئ على القراءة الصحيحة المجودة لأن تلك الرموز والعلامات لها دور كبير في إبراز وبيان مظاهر التنغيم من سكت، ومد ووقف ووصل كما أن علامات الترقيم في الكتابة العربية تقوم مقام التنغيم والأداءالصحيح، من نقطة وفاصلة وفاصلة منقوطة وعلامات الاستفهام و التعجب وغيرها.

9- إن علماء العربية كسائر الناس خبروا التنغيم ومارسوه في أدائهم الفعلي للكلام ولم يفعلوا ذلك بالتلقين والتعليم، بل كانوا يأتون به على وجهه الصحيح بالعادة والدربة.